المدرسة في مصر خلال العصر الفاطمي (358 -567 هـ/ 969م – 1171 م): دراسة في عوامل النشأة

School in Egypt in the Fatimid era through (358 – 567 A.H / 969 - 1171 A.D): A study in factors of inception

م.م. حنان صاحب حمود: كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، العراق

HANAN SAHIB HAMOUD: Assistant Lecturer, College of Education for Human Sciences, Karbala University, Iraq

Email: hanan.s@uokerbala.edu.iq

DOI: https://doi.org/10.56989/benkj.v3i5.298

الملخص:

تهدف الدراسة إلى إعطاء صورة واضحة عن نشأة المدرسة في مصر خلال العصر الفاطمي (358 .567هـ/ 969م – 1171م) ومعرفة بداية ظهور هذه المؤسسة والوقوف على عوامل نشأتها والغرض من بناءها باعتبارها إحدى المؤسسات التعليمية التي ظهرت نتيجة ما شهده العالم الإسلامي من تطور وازدهار في الحركة العلمية خلال القرن الخامس الهجري. ولتحقيق أهداف الدراسة فقد اتبعت الباحثة المنهج التاريخي التحليلي في إعداد هذه الدراسة وتوصلت لمجموعة من النتائج أبرزها:إن المدرسة هي مؤسسة تعليمية تشمل كل ما يميز المؤسسات التعليمية الأخرى التي سبقتها كالمساجد والخانات ودور العلم إذ تعتبر مكاناً لدراسة العلوم الدينية فضلا عن العلوم المتنوعة الأخرى وخلال العصر الفاطمي كانت فكرة (المدرسة) حديثة في العالم الإسلامي لذلك اقتصر التعليم الفاطمي في أول الأمر على المؤسسات الأخرى مثل الجامع الأزهر الذي كان يقوم بنفس وظيفة المدرسة حتى ظهرت المدارس في مصر باسمها الفني الذي اشتهرت به في بقية أنحاء العالم الإسلامي وكان ذلك في أواخر حكم الدولة الفاطمية وتميزت تلك المدارس بأنها ذات مذهب مغاير لمذهب الدولة الإسماعيلي وهي (مدرسة أبي بكر الطرطوشي والمدرسة الحافظية والمدرسة العادلية).

الكلمات المفتاحية: المدرسة، الدولة الفاطمية، مصر، المدارس

Abstract:

This study aims to give a clear idea about the establishment of the school in Egypt during the Fatimid era (358–567 AH / 969 – 1171 AD) and the possibility of knowing the beginning of the emergence of this institution and standing on the factors of its establishment and the purpose of building it as one of the educational institutions that emerged as a result of the development and prosperity witnessed by the Islamic world In the scientific movement during the fifth century AH.The researcher followed the analytical historical approach in preparing this study and reached a set of results, most notably: The school is an educational institution that includes everything that distinguishes other educational institutions that preceded it, such as mosques, khans, and science houses, as it is considered a place for studying religious sciences as well as other various sciences. During the Fatimid era, the idea was (School) is modern in the Islamic world, so Fatimid

education was initially limited to other institutions, such as the Al-Azhar Mosque, which used to perform the same function as the school, until schools appeared in Egypt with its artistic name, which it became famous for in the rest of the Islamic world, and that was at the end of the rule of the Fatimid state.These schools were distinguished for having a doctrine different from the doctrine of the Ismaili state, namely (AbiBakr Al-Tartushi School, Al-Hafizia School, and Al-Ahliyya School).

Keywords: school, Fatimid state, Egypt, schools

المقدمة:

شهد العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري ازدهارا كبيرا في الحياة الفكرية والنشاط الثقافي والتطور العلمي فكان لابد نتيجة ذلك الازدهار أن تكون هناك مؤسسة تستوعب ذلك النشاط فظهرت المدرسة التي تعد من المؤسسات التعليمية المهمة التي لعبت دوراً كبيرا في الحياة الثقافية بصورة عامة والسياسية بصورة خاصة؛ إذ تعتبر مكاناً لدراسة العلوم الدينية فضلا عن العلوم المتنوعة الأخرى وحرص الحكام من خلفاء وأمراء ووزراء على إنشاء المدارس وتدعيمها والاهتمام بأمرها لما لهذه المؤسسة من أهمية كبيرة وفي مصر جاء إنشاء المدارس باسمها المتعارف عليه في العالم الإسلامي في وقت متأخر من حكم الدولة الفاطمية لذلك اقتصر التعليم الفاطمي على المؤسسات الأخرى مثل الجامع الأزهر الذي كان يقوم بنفس وظيفة المدرسة وبذلك يمكن اعتباره بمثابة أول مدرسة أنشأتها الدولة الفاطمية في القرن الرابع الهجري ومن ثم تظهر المدارس الأخرى في أواخر القرن الخامس الهجري إلا إنها تكون ذات اتجاه مذهبي مغاير لمذهب الدولة الفاطمية، ويعزى السبب في ذلك الى سياسة التسامح الديني التي اتبعتها الدولة الفاطمية في مصر وأيضا إلى ضعف الدولة وتسلط الوزراء إذ إن إنشاء هذه المدارس يعد حركة سياسية من قبل بعض الوزراء الذين يدينون بمذهب مغاير لمذهب الدولة الفاطمية لتقويض المذهب الإسماعيلي ونشر مذاهبهم، فكان ظهور هذه المدارس مؤشرا واضحا على ضعف الدولة الفاطمية وتقويض المذهب الإسماعيلي في مصر.

مشكلة الدراسة:

تدور مشكلة الدراسة حول نشأة المدرسة في مصر خلال العصر الفاطمي وماهي العوامل والظروف التي ساعدت على ظهور المدرسة؟ وماهو الغرض من إنشائها؟ ومتى ظهرت أول مدرسة في العالم الإسلامي؟ وماهو دور الجامع الأزهر في حركة إنشاء المدارس؟ وماسباب تأخير ظهور

المدرسة في مصر خلال العصر الفاطمي وظهورها فيما بعد وتخصيصاً في الإسكندرية؟ وماهو الغرض من إنشاء مدارس في مصر ذات مذهب مغاير لمذهب الدولة الرسمي؟

هيكل الدراسة:

قسمت الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، تناولت المقدمة أهمية الموضوع، وبين المبحث الأول معنى المدرسة لغة واصطلاحاً، أما المبحث الثاني جاء لتوضيح بداية نشأة المدرسة في العالم الإسلامي، بينما تناول المبحث الثالث المدارس في مصر في العصر الفاطمي، والخاتمة التي تعرض أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

المبحث الأول: المدرسة لغة واصطلاحا

المدرسة لغة:

هي الموضع الذي يدرس فيه وقيل درست الكتاب أدرسه درسا أي عاوده حتى انقاد لحفظه[1] ودرست الصورة أي حفظتها والمدارس هو المكان الذي يدرس فيه القرآن[2].

المدرسة اصطلاحا:

هي الأماكن التي بنيت للتعليم ونشر المعرفة بجهود الدولة او الأفراد وتتعهد الجهة المؤسسة بالنفقة عليها وتحبس لها الأوقاف وتراقب فيها التعليم وتعين لها المعلمين [3]فالمدرسة هي مؤسسة تعليمية تشمل كل ما يميز المؤسسات التعليمية التي سبقتها كالمساجد والخانات ودور العلم إذ تعتبر مكاناً لدراسة العلوم الدينية فضلا عن العلوم المتنوعة الأخرى مع محافظتها على مكانتها الدينية فكانت المدارس في مصر بغض النظر عن اختلاف مذهب المدرسة تعد مكان عبادة ودراسة معاً مثلما ظل المسجد كذلك، إلا إنها غلبت عليها صفة الدراسة بالإضافة إلى إن المدرسة تميزت غالبا بوجود سكن للمعلمين وطلاب العلم مما لانظير له بالمسجد[4] فضلا عن وجود الإيوان او قاعات مخصصة للدراسة او ماتسمى بقاعة المحاضرات وتعد من ابرز معالمها [5].

(1) المقريزي، تقي الدين (1997): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق: محمد زينهم ومديحة ألشقراوي، ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي، ج3، ص436.

(2) الرازي، محمد (1999): مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، بيروت: المكتبة العصرية، ص103؛ ابن منظور، محمد: لسان العرب، ط1، بيروت: دار صادر، ج6، ص79.

(3) الطيباوي، عبد اللطيف (1963): محاضرات في تاريخ العرب والإسلام، بيروت: دار الأندلس: ج1، ص53.

(4) اسكندراني، محمد (1989): المدرسة والدولة في العصرين الفاطمي والأيوبي، مجلة الاجتهاد، ع4، ص146.

(5) فكري، احمد (1970): خصائص عمارة القاهرة في العصر الأيوبي، القاهرة: دار الكتب، ج1، ص183؛ اسكندراني، مصدر سابق، ص147.

حرص مؤسسو المدارس على وقف الأوقاف عليها مثلها مثل غيرها من المؤسسات الدينية الأخرى إذ جرت العادة أن يوقف عليها الأوقاف الواسعة ليُنفق من ريعها على المدرسة وموظفيها من هيأة التدريس فضلا عن طلاب العلم [1].

كان عدد الطلاب في المدرسة يحدد من قبل الواقف او المؤسس او الدولة وكان ينالهم جميعهم ومعلميهم نصيب من الأوقاف وتعطى لهم رواتب شهرية من خزانة الدولة او ماكان يسمى بالأجر المعلوم، ذكر المقريزي[2] " وأول ماعرف إقامة درس من قبل السلطان بمعلوم جار لطائفة من الناس بديار مصر " وغالباً ما كان يتم تعيين المدرس من قبل منشئ المدرسة او واقفها بنص صريح يرد في كتاب الوقف او يتم تعيينه من قبل الدولة [3].

كانت المدرسة تتكون من أبنية مختلفة يجاور بعضها البعض وكل بناء يخصص لغرض معين سواء للتدريس او للرفاهية او للإسكان، وفي فناء كل مدرسة هناك مسجد للصلاة والوعظ، وتميزت المدارس في مصر بوجود المكتبات اذ كان يتسابق مؤسسوها في جمع الكتب لان شهرة المدرسة تتوقف على مقدرة مدرسيها وعلى ماتحتويه مكتبتها من كتب وكانت تلقى المحاضرات وتقام المناظرات في فناء المدرسة [4].

المبحث الثاني: نشأة المدرسة في العالم الإسلامي

شهد القرن الخامس الهجري تطوراً كبيراً في الحركة العلمية والنشاط الثقافي في جميع أرجاء العالم الإسلامي فكان نتيجة ذلك التطور لابد أن تكون هناك مؤسسة تستوعب هذا النشاط، وبما إن المسجد كان يقوم بمهمته العلمية على الوجه الأكمل فلم تظهر المدرسة للوجود إلا عندما بدأت تتسع الحلقات العلمية في المساجد وتكثر المناقشات والمناظرات التي تبعد المسجد عن مهمته الأساسية وهي العبادة لذلك توجب البحث عن إيجاد مكان بديل للدراسة والتعليم وما يصاحب ذلك من نقاشات وحوارات فظهر هذا المكان وعرف باسم المدرسة[5].

(6) الطيباوي، مصدر سابق، ج1، ص54.
(7) المصدر السابق، ج3، ص437.
(3) اسكندراني، مصدر سابق، ص147.
(9) الطيباوي، مصدر سابق، ج1، ص55.
(5) شميساني، حسن (1983): مدارس دمشق في العصر الأيوبي، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ص11.

اختلف المؤرخون في تحديد نشأة المدارس وبداياتها في العالم الإسلامي، فقد ذكر الذهبي[1]إن نظام الملك[2] أول من أسس المدارس غير إن السبكي [3]اشارالى إن هناك مدارس أحدثت في نيسابور[4]قبل أن يولد نظام الملك.

وحدد المقريزي[5] بداية نشوء المدارس بالقول " والمدارس مما حدث في الإسلام ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين وإنما حدث عملها بعد الأربعمائة من سني الهجرة "

والشائع في المصادر التاريخية[6] إن المدرسة النظامية التي أنشأها نظام الملك في بغداد سنة 459هـ/1066م هي أول مدرسة في الإسلام ولعل سبب ذلك يعود إلى شهرة نظام الملك الإدارية وكثرة المدارس التي أسسها فيُذكر انه بنى في كل مدينة من مدن العراق وخراسان مدرسة [7].

على إن النظامية لم تكن أول المدارس التي أنشأت في العالم الإسلامي، وإنما سبقتها العديد من المدارس[8]. وفي مصر خلال العصر الفاطمي كانت فكرة (المدرسة) موجودة في مؤسسات أخرى وان لم تكن تحمل تسمية (المدرسة) إلا إن وظيفتها كانت مشابهة لوظيفة المدرسة وأكثر من ذلك؛ ومنها الجامع الأزهر في مصر الذي أنشأته الدولة الفاطمية سنة 361هـ/ 972م[9]والذي كان في

(1) شمس الدين: تاريخ دول الإسلام، الهند: حيد آباد، ج2، ص9.

(2) الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الوزير ابو علي الطوسي كان له مكانة كبيرة عند السلاجقة وزره السلطان ألب ارسلان سنة 456هـ / 1063م وبقي بمنصبه حتى وفاته سنة 485هـ/ 1092م. البخاري، ابو عبد الله: كتاب التاريخ الكبير، ديار بكر: المكتبة العملاقة، ج1، ص465؛ ابن خلكان، شمس الدين: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ج2، ص128.

(3) عبد الوهاب (1992): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود احمد، ط2، الجيزة: هجر للطباعة، ج3، ص180.

(4) مدينة عظيمة من مدن خراسان كثيرة الخيرات والفواكه والثمرات لها فضائل اذ تعد منبع العلماء ومعدن الفضلاء وتسمى أيضا نشاور وسابور. الحميري، محمد (1980): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة، ص588.

(5) المصدر السابق، ج3، ص436.

(6) الطرطوشي، أبو بكر (1872): سراج الملوك، مصر: المطبوعات العربية، ص 539؛ ألصفدي، صلاح الدين (2000): الوافي بالوفيات، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج4، ص166؛ المقريزي، مصدر سابق، ج3، ص436؛ معروف، ناجي (1966): نشأة المدارس المستقلة في الإسلام، بغداد: مطبعة الأزهر، ص6.

(7) كباشي، غنية ياسر (2007): المكونات الثقافية في الدولة الفاطمية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ص358.

(8) معروف، ناجي (1973): علماء النظاميات ومدارس الشرق الإسلامي، ط1، بغداد: مطبعة الإرشاد، ص90.

(9) ابن تغري بردي، جمال الدين (1992): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، ج4، ص33.

بداية إنشائه لأهداف دينية سرعان ما تغير وشمل مراحل متقدمة في التعليم ولاسيما وانه اشتمل على العديد من المرافق الخدمية للطلاب ودراسة العلوم المختلفة في المجالات كافة إذ كان عبارة عن جامعة مصغرة لمفهوم الجامعة في الوقت الحاضر يحتوي على غرف للطلبة والعلماء[1] وقد جددت الأوقاف على التعليم في مصر قبل عهد نظام الملك بوقت طويل[2], فقد أصبح الجامع الأزهر ومنذ سنة (378هـ/988م) معهدا علميا أكثر منه مسجدا من حيث صلة رزمة الفقهاء وشراء دار لهم واجتماعهم المنتظم في كل يوم جمعة وعقدهم المجالس العلمية والأدبية، إذ إن النظام الداخلي في دور العلم أول ما وجد في الجامع الأزهر وانتقلت منه إلى سواه من المدارس في العالم الإسلامي كله[3].

وخلاصة القول إنّ الجامع الأزهر تميز بمواصفات تشبه مواصفات المدارس من تأسيس دور العلم واختلاف العلوم التي تدرس للطلاب فضلاً عن أعطيات الخلفاء الفاطميين لهؤلاء الطلاب وتشجيعهم لهم وتشجيع العلماء والأدباء والفقهاء كل هذه تُعدّ ضمن القياسات الحقيقية في إنشاء المدارس التي سبق الفاطميون السلاجقة في بنائها، بل يمكن القول أن نظام الملك قد تأثر بالأزهر الفاطمي، فأقام على غراره النظامية في بغداد من اجل الوقوف بوجه المذهب الفاطمي وتقويضه..

المبحث الثالث: المدارس في مصر في العصر الفاطمي

ترجع بداية نشوء المدارس في مصر الفاطمية الى أواخر القرن الخامس الهجري على الرغم من وجود الجامع الأزهر الذي كان يؤدي دور المدرسة في علومه وتلبية حاجات الطلاب من مأكل ومسكن ومرتبات إلا انه لم يبنِ بالاسم الفني للمدرسة وبذلك يكون أول ظهور للمدرسة في الدولة الفاطمية في أواخر القرن الخامس للهجرة.

تميزت المدارس في العصر الفاطمي باتجاهها نحو المذاهب الفقهية الأخرى غير المذهب الإسماعيلي ويمكن تلخيص العوامل التي ساعدت في ذلك بالنقاط التالية:

1- سياسة التسامح الديني التي اتبعتها الدولة الفاطمية في مصر مع مختلف الطوائف الدينية، إذ كان من بنود الأمان التي منحها الفاطميون عند دخولهم مصر سنة 358هـ/ 969م حرية

(1) الطيباوي، مصدر سابق، ص23- 24.

(2) شلبي, احمد(1954): تاريخ التربية الإسلامية, دار الكشاف للنشر , ص363.

(3) سرور، محمد (1995): تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة: دار الفكر العربي، ص154؛ شلبي، مصدر سابق, ص363؛ حسن، حسن إبراهيم (1932): الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، القاهرة، ص127.

الأديان[1] فكانت تلك السياسة التسامحية الأساس لنشأة مدارس ذات مذهب مغاير لمذهب الفاطميين.

2- نشأت المدارس في أواخر حكم الدولة الفاطمية حيث تسلط الوزراء بسبب الضعف الذي دب في أوصال الدولة في عهد الخلفاء المتأخرين، وتراجعت فيه هيبة الدولة الفاطمية وفقدت سطوتها بتسلط الوزراء على الخليفة حتى كانت هذه المدارس تخدم المذاهب الفقهية الأخرى، إذ إن إنشاء مدرسة ذات مذهب مغاير لمذهب الدولة ماهو إلا دليل على ضعف سلطة الدولة فكانت السلطة الفعلية في الدولة الفاطمية في هذه الفترة بيد الوزراء الذين فرضوا سيطرتهم على مجريات الأمور ومقاليد الحكم [2]وخير دليل على ذلك إنشاء مدارس وفق مذاهبهم.

3- ظهرت المدارس في الإسكندرية التي كانت مركزاً للإشعاع السني طوال العصر الفاطمي، ويعد المذهب المالكي هو الشائع بين أهلها بسبب موقع المدينة الجغرافي وعلاقاتها الواسعة مع شمال أفريقيا والأندلس[3]وهذا ما ساعد على إنشاء مدارس فيها ذات مذهب مغاير للمذهب الإسماعيلي.

4- اعتماد الفاطميين على أهل الذمة وتقليدهم مناصب عليا في الدولة ساعد على إتاحة الفرصة للتيارات السنية في الظهور والانتشار بل أكثر من ذلك إذ أصبحوا وزراء في الدولة وشغلوا وظائف إدارية أخرى[4] مما ساعد ذلك على ظهور المدارس وفق مذهبهم وتحمل اسمهم.

ومن هذه المدارس:

(1) المقريزي، تقي الدين (1996): اتعاظ الحنفا بإخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ط2، القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، ج1، ص106؛ طقوش، محمد سهيل (2007): تاريخ الفاطميين، ط2، بيروت: دار النفائس، ص192.

(2) ابن ميسر، محمد (1919): أخبار مصر، تحقيق: هنري ماسيه، القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي، ص40؛ سيد، أيمن فؤاد (1992): الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، ط1، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ص387.

(3)سلام، أيمن شاهين (1999): المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني، أطروحة دكتوراه، مصر: جامعة طنطا، ص52.

(4) سيد، مصدر سابق، ص387.

- **مدرسة أبي بكر الطرطوشي**[1]**/** وتعد أول مدرسة في العصر الفاطمي أسسها الطرطوشي في الإسكندرية وهو مالكي المذهب وقد ارتحل في بلاد المشرق والمغرب من اجل طلب العلم[2],وصل إلى مدينة الإسكندرية في حدود سنة (487هـ/1094م) فوجدها عاطلة على العلم[3] فأستقر بها وتزوج بسيدة من الإسكندرية ميسورة الحال أهدته بيتها فأنشأ فيه مدرسته وكانت تتكون من طابقين جعل الدور العلوي داراً له واتخذ من الطابق السفلي مكاناً للعلم[4]وتميزت مدرسته بكثرة طلاب العلم والفقهاء وكانوا يتخذون منها مكانا للمبيت [5]. وكان يُدرس فيها المذهب المالكي المغاير لمذهب الدولة الفاطمية وهذا دليل على السياسة التسامحية التي اتبعها الفاطميون في مصر إذ عملت الدولة على تقديم الخدمات لهذه المدارس من رعاية لها وتخصيص المدرسين والجرايات التي يصرفونها لهم وتوفير أماكن لسكناهم[6].
- **المدرسة الحافظية/** كشفت المصادر التاريخية[7] عن وجود مدرسة ثانية في الإسكندرية أنشئت في سنة 532هـ/1137م في عهد الحافظ لدين الله الفاطمي (524هـ-544هـ/ 1130-1149م

(1)محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري (451هـ/1060م -520هـ/1127م) المعروف الطرطوشي نسبة إلى طرطوش وهي بلدة من بلاد الأندلس رحل إلى البصرة وبغداد وتفقه على يد علماء العراق ثم توجه بعد ذلك إلى الشام ومنها إلى الإسكندرية حيث استقر فيها حتى وفاته سنة 520هـ / 1127م، وهو صاحب كتاب سراج الملوك في سلوك الملوك. الضبي، احمد (1967): بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، مصر: دار الكتاب العربي، ص135 وما بعدها؛ ابن فرحون، برهان الدين: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب, بيروت: دار الكتب العلمية, ص276.

(2) ابن فرحون، مصدر سابق، ص276؛ علي، خطاب عطية (1947): التعليم في مصر، القاهرة: دار الفكر العربي، ص120.

(3) شهدت مصر في هذه الفترة اضطرابات كثيرة متمثلة بظهور النزارية والمستعلية وتأييد الوزير الأفضل الجمالي الذي كانت بيده السلطة الفعلية للمستعلية أدى إلى هروب نزار الى الإسكندرية فهجم الأفضل على المدينة وحاصرها وبعد أن انتصر عليهم أمر بنقل عدد من علماء الإسكندرية لذلك كانت عاطلة عن العلم عند مجيء الطرطوشي. ابن ميسر، مصدر سابق، ص35؛ المقريزي، مصدر سابق، ج3، ص15؛ طقوش، مصدر سابق، ص391.

(4) الضبي، مصدر سابق، ص137.

(5) بلغ عدد طلابه في الدرس حوالي 360 طالبا حتى انه لم تعد حلقات الدرس تقام في المدرسة وإنما في بستان ليستوعب أعداد الطلاب الكبيرة. ابن فرحون، مصدر سابق، ص276.

(6) المقريزي، مصدر سابق، ج3، ص92.

(7) ابن ميسر، مصدر سابق، ص130؛ القلقشندى، احمد (1987): صبح الأعشى في صناعة الانشا، تحقيق: يوسف علي الطويل، ط1، دمشق: دار الفكر، ج10، ص465؛ المقريزي، مصدر سابق، ج3، ص167؛ سيد، مصدر سابق، ص387.

) وسميت بالحافظية نسبة له؛ فقد بناها الوزير رضوان بن ولخش[1]وقررفي تدريسها الفقيه أبا طاهر بن عوف[2] لذلك تسمى أيضا بالعوفية [3].

أورد القلقشندى[4] السجل الذي صدر عن الحافظ لدين الله الفاطمي بإنشاء هذه المدرسة إذ يتضح الغرض من إنشاءها هو لجمع الفقهاء والعلماء وطلاب العلم في مكان واحد وتكون المدرسة مأوى لهم وسكناً. " ولما انتهى إلى أمير المؤمنين ميزة ثغر الإسكندرية حماها الله تعالى على غيره من الثغور وهو يشتمل على القراء الفقهاء والمرابطين والعلماء وان طالبي العلم من أهله ومن الواردين إليه والوافدين عليه مشتتو الشمل متفرقوا الجمع أبى أمير المؤمنين أَنْ يكونوا حائرين مترددين ولم يرض لهم أن يبقوا مذبذبين متبددين، وخرجت أوامره بإنشاء المدرسة الحافظية بهذا الثغر المحروس بشارع المحجة مناً عليهم وإنعاما ومستقرا لهم ومقاما ومثوى لجميعهم ووطنا ومحلا لكافتهم وسكنا "

ويتضح من ذلك إن الهدف من إنشاء هذه المدرسة كان هدفاً علمياً وليس مذهبياً وهذا من وجهة نظر الحافظ لدين الله الفاطمي، أي انه أراد أن يكون معهداً علمياً غير مختص بعلوم مذهبٍ ما، ولكن بعد ذلك نجد إن المدرسة تخصصت بدراسات وعلوم المذهب المالكي وهذا الأمر يوضح أهمية الدور الذي قام به الوزير رضوان بن ولخش الذي كان مسيطر على مجريات الأحداث، وتغيير الحافظ لدين الله عن الغرض الأساسي وإعطاء الصلاحيات فيها للفقيه المالكي ابو طاهر بن عوف ولذلك أصبحت تسمى بـ(المدرسة العوفية)[5].

(1) أمير الجيوش ووزير الحافظ لدين الله الفاطمي ومدير ممالكه بديار مصر استوزره الخليفة سنة 532هـ/1137م استولى على مصر وبلغ تسلطه على الدولة بأن حجر على الخليفة الحافظ وتخلص منه الحافظ حتى دس عليه السودان فقتلوه سنة (543هـ/1148م). المقريزي، مصدر سابق، ج3، ص161.

(2) هو أبو طاهر إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عيسى بن عوف القرشي الزهري أحد تلامذة الطرطوشي، برع في المذهب المالكي وأقرأ الناس، توفى سنة 581هـ/1185م. الذهبي، شمس الدين (1993): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ج 41، ص102.

(3) ابن ميسر، مصدر سابق، ص130؛ المقريزي، مصدر سابق، ج3، ص167؛ سيد، مصدر سابق، ص387؛ الكناني، حكمت لفته (2014): رعاية الخلفاء الفاطميين للعلم والعلماء (296-567هـ)، أطروحة دكتوراه، بغداد: الجامعة المستنصرية، ص123.

(4) المصدر السابق، ج10، ص465.

(5) القلقشندى، مصدر سابق، ج10، ص465؛ سلام، مصدر سابق، ص64.

- **المدرسة العادلية /** شيدت هذه المدرسة في الإسكندرية أيضا في سنة 544هـ/ 1149م من قبل الوزير العادل بن السلار [1] في عهد الظافر بأمر الله الفاطمي (544-549هـ/ 1149-1154م) ولكن هذه المرة لتدريس المذهب الشافعي وقرر في تدريسها الحافظ ابو طاهر السلفي[2]، وسميت بالعادلية في بادئ الأمر نسبة الى مؤسسها العادل بن السلار ثم غلبت عليها تسمية السلفية نسبة إلى الحافظ السلفي[3].

ذكر المقريزي[4] إنشاء الوزير العادل لهذه المدرسة بالقول " وشدَ من مذهب أهل السنة فقدم عليه الحافظ ابو طاهر احمد بن محمد السلفي فأكرمه وبني له مدرسة في الإسكندرية " ويتبين إن الهدف من إنشاء هذه المدرسة هو تقويض مذهب الدولة الإسماعيلي وفي الوقت نفسه نشر وبسط المذهب الشافعي وكما تذكر الروايات التاريخية[5] بأن العادل كان على المذهب الشافعي وان التدريس في هذه المدرسة جاء وفقاً للمذهب نفسه وهذا يعد انتصار للشافعية في مصر كما كان بناء المدرسة الحافظية انتصاراً للمذهب المالكي. فضلا عن ذلك أن إنشاء هذه المدارس كانت حركة سياسية من قبل بعض الوزراء الذين يدينون بمذهب مغاير لمذهب الدولة الفاطمية لتقويض المذهب الإسماعيلي ونشر مذاهبهم علماً بأن ذلك كان يجري مع وجود الخليفة الفاطمي ولم يعارض بناء هذه المدارس بسبب ضعف سلطته وتسلط الوزراء الذين بدت سيطرتهم ونفوذهم على مجريات الأمور ومقاليد الحكم في الدولة الفاطمية.

الخاتمة:

يمكن من خلال هذه الدراسة التوصل إلى معرفة العوامل والظروف التي ساعدت على نشأة المدرسة في مصر خلال عصر الفاطميين وتسليط الضوء على هذه المؤسسة التعليمية التي لعبت دوراً كبيراً في الحياة السياسية والثقافية في الدولة الفاطمية فقد اهتم الفاطميون بالتعليم وانشئوا العديد

(1) هو علي بن السلار الكردي ثم المصري الملقب بالملك العادل كان شافعي المذهب، نشأ وترعرع في القصر الفاطمي في القاهرة، وانتقلت أحواله، حتى ولي الصعيد وتولى وزارة الظافر بالله الفاطمي سنة 544هـ/1149م وقتل سنة 548هـ/1153م. أبن خلكان، مصدر سابق، ج3، ص416-418.

(2) صدر الدين الحافظ أبو طاهر احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن إبراهيم أتقن المذهب الشافعي وبرع في الأدب واستوطن الإسكندرية وكان منهمكاً على الاشتغال والمطالعة وسافر إلى عدة بلدان منها بغداد والحجاز وبلاد أذربيجان ومكة ودمشق إلى أَنْ استقر أخيرا في الإسكندرية حيث توفى بها سنة (576هـ/1180م). ابن خلكان، مصدر سابق، ج1، ص105.

(3) الكناني، مصدر سابق، ص124.

(4) المصدر السابق، ج3، ص198.

(5) ابن خلكان، مصدر سابق، ج1، ص105؛ ألسبكي، مصدر سابق، ج6، ص36؛ سيد، مصدر سابق، ص387.

من المراكز العلمية التي كان لها دور كبير في ازدهار الحياة الثقافية كما اتخذوها قاعدة لنشر مذهبهم الاسماعيلي في مصر؛ إلا إن ضعف الدولة الفاطمية في أواخر حكمها وانتقال السلطة الفعلية إلى الوزراء أدى إلى إنشاء مدارس ذات مذهب مغاير لمذهب الدولة فكان لذلك أثرا كبيراً في تقويض المذهب الإسماعيلي ونشر المذاهب الأخرى في مصر.

وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

- ظهرت المدرسة نتيجة الازدهار الذي شهده العالم الإسلامي في الحياة الثقافية والنشاط العلمي في القرن الخامس الهجري فهي مؤسسة تعليمية تشمل كل ما يميز المؤسسات التعليمية الأخرى التي سبقتها كالمساجد والخانات ودور العلم إلا إنها تميزت بوجود سكن للمعلمين وطلاب العلم فضلا عن وجود الإيوان او ما يسمى بقاعات المحاضرات المخصصة للدراسة.
- اختلف المؤرخون في بداية نشأة المدرسة في العالم الإسلامي فالبعض ذكر إن المدرسة النظامية هي أول مدرسة في الإسلام أما البعض الآخر أشار الى وجود مدارس أخرى قبل النظامية أما في مصر فقد عُدَ الجامع الأزهر الذي أنشأته الدولة الفاطمية سنة 361هـ/972م بمثابة أول مؤسسة قامت بنفس وظيفة المدرسة بل أكثر من ذلك إذ شمل مراحل متقدمة من التعليم.
- ترجع بداية ظهور المدرسة في مصر باسمها المتعارف عليه في العالم الإسلامي الى أواخر حكم الدولة الفاطمية وتميزت باتجاهها نحو المذاهب الفقهية الأخرى غير المذهب الإسماعيلي وسبب ذلك سياسة التسامح الديني المتبعة في الدولة الفاطمية والى ضعف سلطة الدولة في أواخر حكمها عندما تسلط الوزراء وأصبحت بيدهم السلطة الفعلية فأنشئوا مدارس وفق مذهبهم.
- تركزت المدارس في الإسكندرية التي كانت مركزا لأهل السنة مما ساعد على إنشاء مدارس ذات مذهب مغاير لمذهب الدولة ومنها مدرسة أبي بكر الطرطوشي والمدرسة الحافظية والمدرسة العادلية ويعد ظهور هذه المدارس مؤشرا واضحا على ضعف الدولة وتقويض المذهب الإسماعيلي في مصر.

أوصت الدراسة بالتوصيات التالية:

- ضرورة التركيز على الدراسات المقارنة بين المسجد والمدرسة في مصر والبحث في الفرق بينهما من حيث التعليم وكيفية انتقال التدريس من المسجد إلى المدرسة.
- إلقاء الضوء على طرق وأساليب التدريس في مدارس مصر خلال العصر الفاطمي ومعرفة المناهج الدراسية والكشف عن أشهر المدرسين فيها.

- ضرورة تكثيف البحث في دور العلماء السنة في التعليم الفاطمي فقد كان لهم دور كبير في المدارس التي أنشأت في مصر خلال عصر الفاطميين ونشر مذهب وعلوم أهل السنة.

قائمة المصادر والمراجع:

- اسكندراني، محمد (1989): المدرسة والدولة في العصرين الفاطمي والأيوبي، مجلة الاجتهاد.
- البخاري، أبو عبد الله: كتاب التاريخ الكبير، ديار بكر: المكتبة العملاقة.
- ابن تغري بردي، جمال الدين (1992): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- حسن، حسن إبراهيم (1932): الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، القاهرة.
- الحميري، محمد (1980): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة.
- ابن خلكان، شمس الدين: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر.
- الذهبي، شمس الدين: تاريخ دول الإسلام، الهند: حيد آباد.
- الذهبي، شمس الدين (1993): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي.
- الرازي، محمد (1999): مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، بيروت: المكتبة العصرية.
- ألسبكي، عبد الوهاب (1992): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود احمد، ط2، الجيزة: هجر للطباعة.
- سرور، محمد (1995): تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة: دار الفكر العربي.
- سلام، أيمن شاهين (1999): المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني، أطروحة دكتوراه، مصر: جامعة طنطا.

- سيد، أيمن فؤاد(1992): الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، ط1، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- شلبي, احمد(1954): تاريخ التربية الإسلامية, دار الكشاف للنشر.
- شميساني، حسن (1983): مدارس دمشق في العصر الأيوبي، بيروت: دار الآفاق الجديدة.
- الصفدي، صلاح الدين (2000): الوافي بالوفيات، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الضبي، احمد (1967): بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، مصر: دار الكتاب العربي.
- الطرطوشي، أبو بكر (1872): سراج الملوك، مصر: المطبوعات العربية.
- طقوش، محمد سهيل(2007): تاريخ الفاطميين، ط2، بيروت: دار النفائس.
- الطيباوي، عبد اللطيف(1963): محاضرات في تاريخ العرب والإسلام، بيروت: دار الأندلس.
- علي، خطاب عطية (1947): التعليم في مصر، القاهرة: دار الفكر العربي.
- ابن فرحون, , برهان الدين: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب, بيروت: دار الكتب العلمية.
- فكري، احمد (1970): خصائص عمارة القاهرة في العصر الأيوبي، القاهرة: دار الكتب.
- القلقشندى، احمد (1987): صبح الأعشى في صناعة الانشا، تحقيق: يوسف علي الطويل، ط1، دمشق: دار الفكر.
- كباشي، غنية ياسر(2007): المكونات الثقافية في الدولة الفاطمية، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد.
- الكناني، حكمت لفته(2014): رعاية الخلفاء الفاطميين للعلم والعلماء (296–567هـ)، أطروحة دكتوراه، بغداد: الجامعة المستنصرية.
- المقريزي، تقي الدين(1996): اتعاظ الحنفا بإخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ط2، القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي.

- المقريزي، تقي الدين (1997): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق: محمد زينهم ومديحة ألشقراوي، ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي.
- معروف، ناجي (1966): نشأة المدارس المستقلة في الإسلام، بغداد: مطبعة الأزهر.
- معروف، ناجي (1973): علماء النظاميات ومدارس الشرق الإسلامي، ط1، بغداد: مطبعة الإرشاد.
- ابن منظور، محمد: لسان العرب، ط1، بيروت: دار صادر.
- ابن ميسر، محمد (1919): أخبار مصر، تحقيق: هنري ماسيه، القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي.